



القس د. متري الراهب

كريمة عبّود:
المرأة خلف العدسة

كرمية عبود : المرأة خلف العدسة

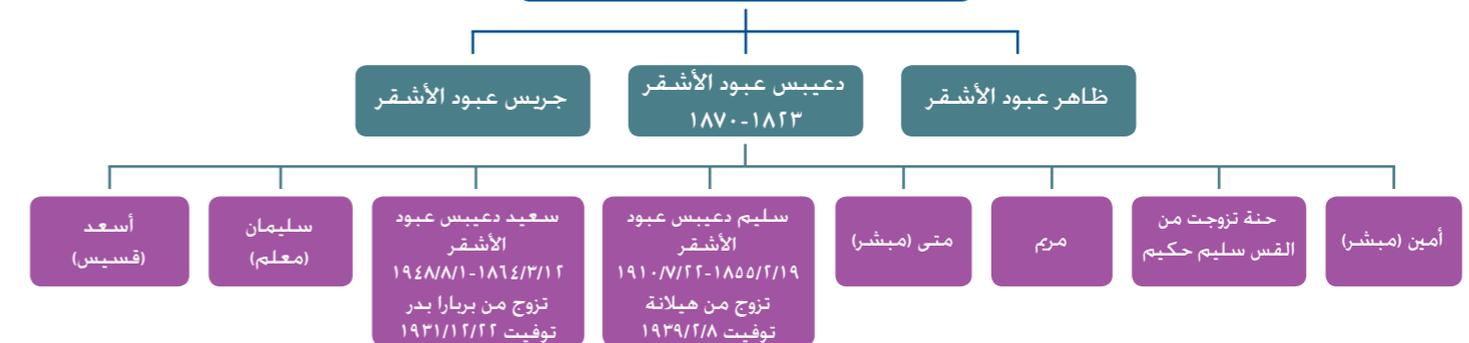
كرمية عبود : المرأة خلف العدسة

عائلة عبود... الأصل والفصل

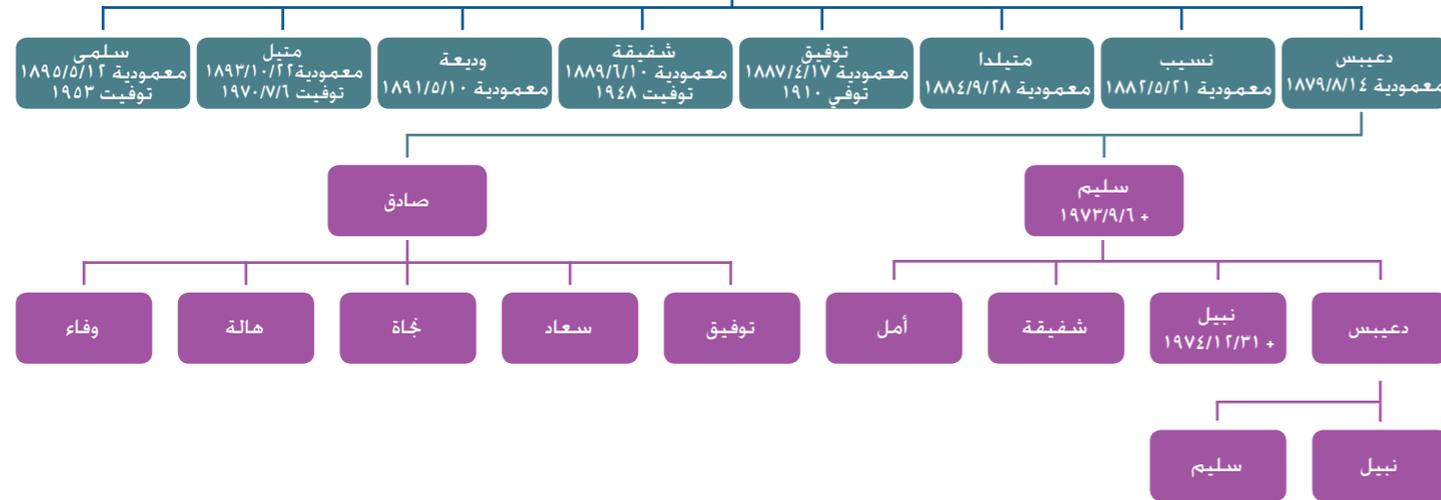
تعود عائلة عبود إلى منطقة مرجعيون في الجليل الأعلى أو ما يعرف اليوم بالجنوب اللبناني وبالذات من قرية الخيام. وتنحدر من أسرة مارونية الأصل. وفي منتصف القرن التاسع عشر تأثر بعض أفرادها بالعمل الإنجيلي المرسلي. حيث قرر بعضهم الانضمام إلى طلائع الحركة الإنجيلية. ولم يكن ذلك بالأمر الهين إذ أدى بهم الانضمام إلى الإضطهاد ويبدو أن دعبس عبود جد كريمة وأخوه ظاهر كانا من أوائل الذين انضموا في قرية الخيام إلى الحركة الإنجيلية.⁽¹⁾

رزق «دعبس» بثمانية أطفال كان سعيد والد كريمة أحدهم حيث ولد هناك في ١٨٦٤/٣/١٢.⁽²⁾ توفي دعبس في أواخر سنة ١٨٧٠ وترك خلفه ثمانية أطفال أيتاماً. لم تكن زوجة دعبس قادرة على العناية بأطفالها جميعاً. لذلك تم إرسال سعيد وأخيه الأصغر سليمان إلى دار الأيتام السورية في القدس. وكان «بوهان لودفيك شننر» المبشر الإنجيلي والألماني الأصل قد أسس في عام ١٨٦٠ في القدس على أراضي لفتا دار الأيتام السورية⁽³⁾ والتي عرفت لاحقاً باسم مدرسة شننر وذلك بهدف العناية بالمئات من الأطفال

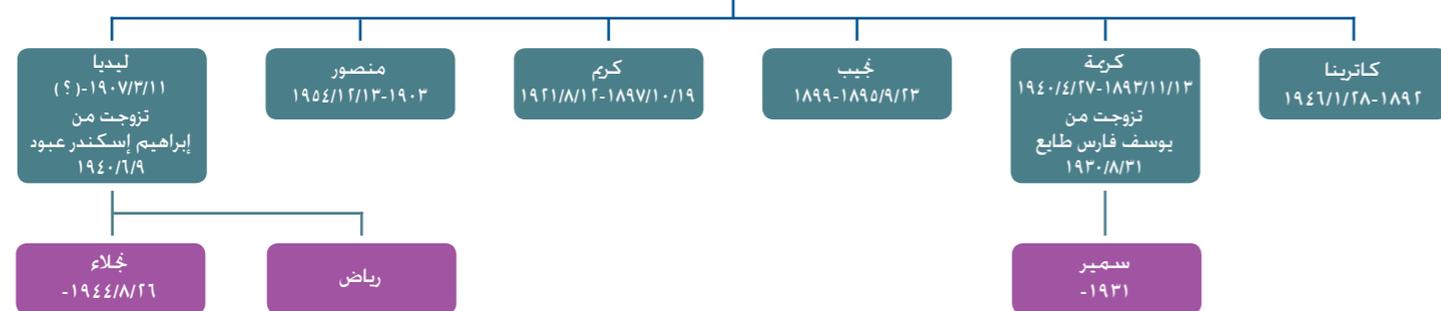
دعبس عبود الأشقر



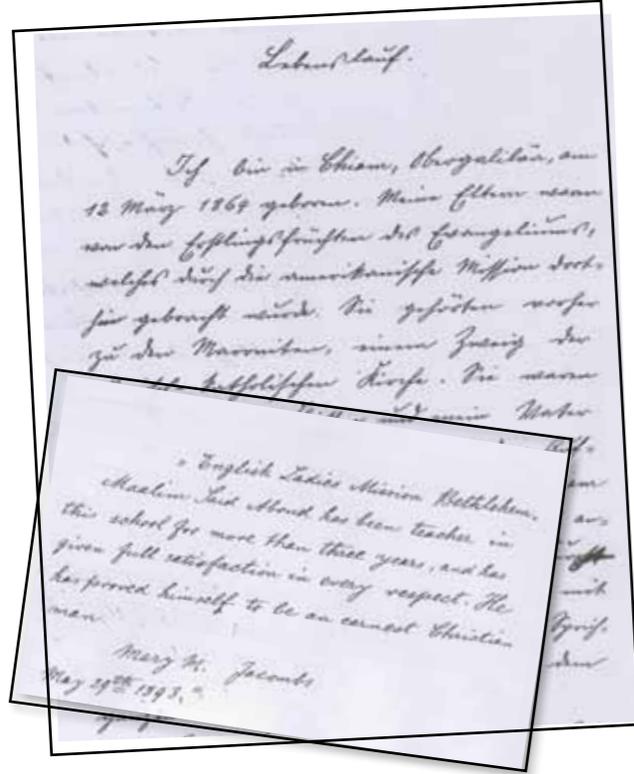
سليم دعبس عبود الأشقر ١٨٥٥/٢/١٩ - ١٩١٠/٧/٢٢ تزوج من هيلانة. توفيت ١٩٣٦/٢/٨



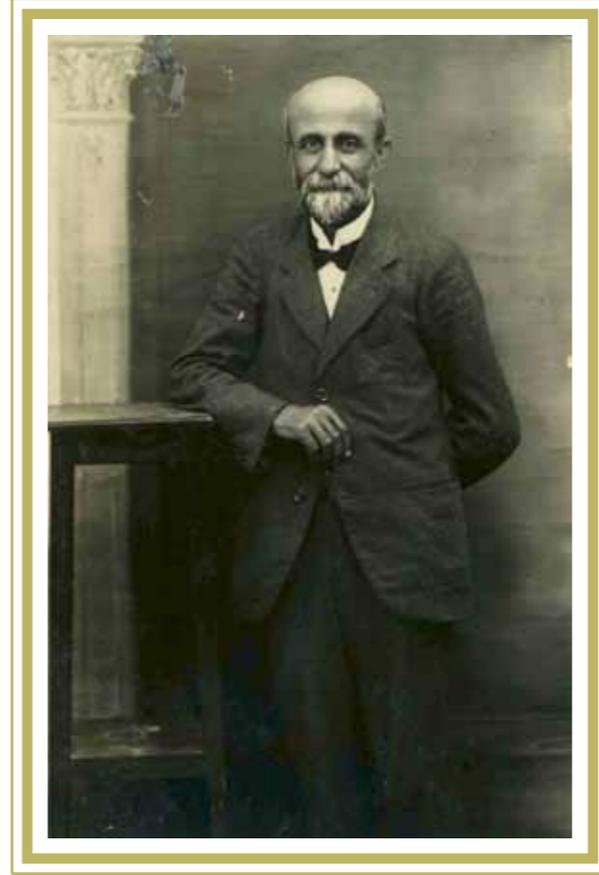
سعيد دعبس عبود الأشقر ١٨٦٤/٣/١٢ - ١٩٤٨/٨/١ تزوج من بربارا بدر في ١٨٩٠/٨/٢٧ توفيت ١٩٣١/١٢/٢٢



تعمل مدرّسة في المدرسة عينها حيث تزوجا في ١٨٩٠/٨/٢٧. وبقي سعيد عبّود معلماً في هذه المدرسة حتى سنة ١٨٩٥.



السيرة الذاتية للقس عبّود وتوصية من ماري جاكومبس



الاستاذ سليمان عبّود

في العقد الأخير من القرن التاسع عشر كان سعيد كثير التنقل. فعمل في عام ١٨٩٣ لسته شهور واعظاً في مدرسة طاليثا قومي^(١) في القدس وفي المستشفى الألماني. وعمل في عام ١٨٩٥ لمدة خمسة شهور في غزة مع المبشر والطبيب الإنجليزي Dr. Sterling^(٢). في عام ١٨٩٦ تم استدعاؤه للعمل في أبرشيه الناصرة وعين واعظاً للكنيسة في شفا عمرو. حيث سكن مع عائلته في الناصرة أولاً لينتقل إليها في نيسان ١٨٩٧ حيث بقي هناك حتى أوائل ١٨٩٩.

الذين تيموا نتيجة المذابح التي عصفت بجبل لبنان في نفس العام بين الموارنة والدروز. وقد انضم سعيد عبّود وأخوه سليمان إلى دار الأيتام السورية في ١٨٧٤/١١/٦. وهناك تثبت سعيد على الإيمان الإنجليزي وذلك في ١٨٨٠/٣/٢١. وقد اختار الأب شنلر سعيد ليلتحق بمعهد المعلمين والذي كان بمثابة القسم الثانوي لدار الأيتام السورية. حيث تأهل هناك للعمل التربوي والراعي كما وأتقن اللغتين العربية والألمانية على يد الأستاذ بشاره كنعان^(٣) والذي صار لاحقاً أول قسيس لوثري عربي.



عائلة عبّود الاشقر حوالي سنة ١٩١٠

وتعتبر سنة ١٨٩٠ من السنوات المهمة في حياة عبّود. ففي نهاية كانون ثاني من ذلك العام قرر سعيد عبّود أن يترك دار الأيتام السورية لخلاف مع أحد مربّيها. وقصد مدينة بيت لحم. حيث عمل كمدرس خاص في المدرسة الإنجليزية^(٤): "English Ladies Mission Bethlehem". والتي كانت تديرها الأنسة Mary M. Jacobs. هناك في هذه المدرسة والتي كانت بنايتها الجديدة قد افتتحت في العام ذاته. وفي مدينة بيت لحم تعرف سعيد على رفيقة حياته «بربارة يوسف بدر» والتي كانت

كريمة عبّود: المرأة خلف العدسة

بالرغم من عدم وجود دراسات كثيرة عن حياة كريمة عبّود، إلا أننا نستطيع أن نستنبط الكثير من حياتها من المحيط الاجتماعي والديني للعائلة التي شبت فيها كريمة. حيث تشكلت فيها شبكة علاقاتها واهتماماتها وتطورت هويتها. ومن يتتبع خيوط هذه العائلة لا بد أن يكتشف دوائر عديدة أثرت في حياتها:

الدائرة الإنجيلية

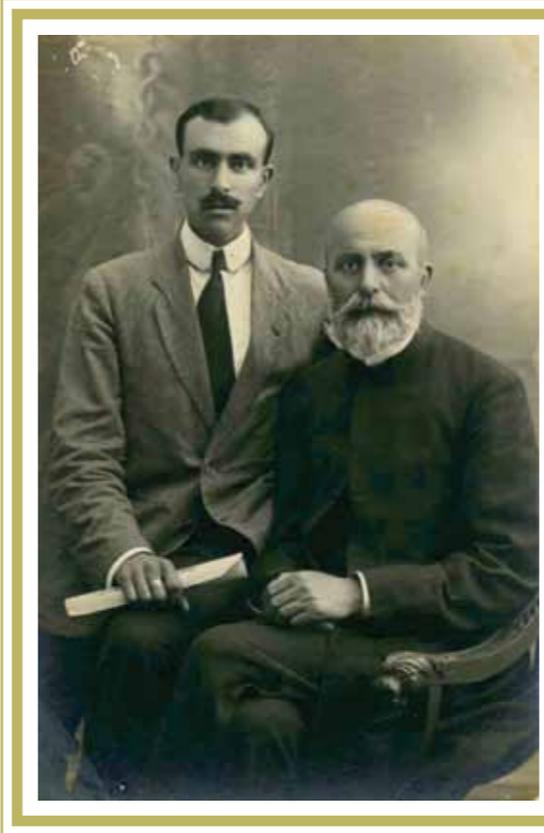
كما سبق وأسلفنا أن جد كريمة دعيبس كان أحد طلائع الإنجيليين في منطقة مرجعيون... كما وعمل كل أعمامها في السلك الإنجيلي الكنسي والتبشيري. وكان أبوها سعيد قد درس في دار الأيتام السورية، إحدى أعرق المدارس والمعاهد الإنجيلية في حينها. وعمل والداها في مطلع حياتهما المهنية في مدرسة إنجيلية وانضمّا معاً إلى كنيسة الميلاذ الإنجيلية اللوثرية قبل أن يصبح أبوها

واعظاً وراعياً لهذه الكنيسة في مطلع التسعينات من القرن التاسع عشر حيث خدم فيها حتى عام ١٩٤٧. ويظهر هذا جلياً في حياة كريمة فقد ولدت كريمة في مدينة بيت لحم في ١٣/١١/١٨٩٣ وتعمّدت في الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في بيت لحم في ١٨٩٤/٤/١^(١) على يد القس عمانوئيل موللر^(٢) وهناك أيضاً تثبتت في ١٩١٠/٩/٢٥^(٣). وتزوجت في ١٩٣٠/٨/٣١^(٤) على يد والدها ودفنت في مقبرتها في ١٩٤٠/٤/٢٧ وقام بمراسم الجنازة والدفن كل من البروبست دورنغ والقس شديد باز حداد^(٥) ومن هنا يمكننا القول أن كريمة منذ ولادتها وحتى وفاتها كانت لوثرية وعضواً فاعلاً في كنيسة الميلاذ الإنجيلية اللوثرية^(٦) ففيها ترعرعت وفي رحابها نمت ومن هوائها استنشقت وفي ترابها دفنت. ولا أخالها من قبيل الصدفة أن ترى كريمة النور في نفس العام الذي دشنت فيه كنيسة الميلاذ.

ولا شك أن عمل أبيها وشبكة علاقاته وروحانياته الإنجيلية قد أثرت بكرمه بدليل امتناعها عن العمل أيام الأحاد على سبيل المثال لا الحصر.



كنيسة الميلاذ الإنجيلية اللوثرية/بيت لحم عام ١٨٩٣



سعيد عبّود وابنه كريم

وبتاريخ ١٨٩٩/٢/٢٢ أرسل القس Boettcher الذي خدم الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في بيت لحم يستدعي سعيد للعمل كواعظ في بيت جالا.

حيث خدم سعيد عبّود هناك حتى عام ١٩٠٥ إنتقل بعدها إلى بيت لحم كواعظ مساعداً للقس الألماني Feldhan. حيث استمر واعظاً ومن ثمّ قسيساً للكنيسة الإنجيلية اللوثرية هنا حتى تقاعده سنة ١٩٤٧.

أجّب القس سعيد عبّود وقرينته برباره ستة أطفال وهم: كاترينا (١٨٩٢) وكريمة (١٨٩٣) وجيب (١٨٩٥) الذي توفي طفلاً، وكريم (١٨٩٧) وتوفي عام ١٩٢١ ومنصور (١٩٠٣) وقد أصيب بمرض عصبي أدخل على إثره إلى مشفى الأمراض العصبية في بيت لحم حيث توفي هناك سنة ١٩٥٤. وليديا (١٩٠٧)^(٧).



من اليسار إلى اليمين: كاترينا، كريمة وليديا عبّود

الدائرة المدرسية

كما سبق وأسلمنا فقد ولدت كريمة عبّود في ١٨٩٣/١١/١٣ في مدينة بيت لحم حيث كان يسكن والداها. وفي هذه الفترة بالذات كان كل من والدها وأمها وعمها يعملون في ثلاث مدارس مختلفة. فقد كانت أمها معلمة في مدرسة البنات الإنجليزية في بيت لحم. أما أبوها فقد كان واعظاً في مدرسة طاليثا قومي الألمانية للبنات في القدس. أما عمها سليمان فكان يعمل في دار الأيتام السورية والمعروفة بمدرسة شنلر.



موظفو دار الأيتام السورية عام ١٩٢٠

وفي عام ١٨٩٩/١٩٠٠ ومع بلوغ كريمة سن السادسة. حان الوقت كي تلتحق بإحدى المدارس فيما كانت أمها ما زالت تعمل في نفس مدرسة البنات الإنجليزية- (وإن كانت هذه المدرسة قد انتقلت في نفس العام من إدارة Society for promoting Female Education in the east إلى إدارة الجمعية التبشيرية الكنسية Church Missionary Society).^(١٥) أما أبوها وبصفته راعياً للكنيسة اللوثرية في بيت جالا فقد أدار المدرسة اللوثرية هناك قبل أن ينتقل إلى العمل في الكنيسة والمدرسة اللوثرية في بيت لحم. لذا يمكننا الجزم بأن كريمة عبّود قد بدأت دراستها الابتدائية إما في المدرسة الإنجليزية للبنات حيث كانت تعمل والدتها

أو في المدرسة اللوثرية حيث كان يعمل والدها. وإن صح الخيار الأول تكون كريمة قد درست في نفس المدرسة وفي نفس الفترة الزمنية مع «نبيهة ناصر» وبالإشتراك مع «رتيبة شقير» التي أسست لاحقاً جامعة بيرزيت.^(١٦) أما إن رجح الخيار الثاني وكانت كريمة قد التحقت بالمدرسة اللوثرية، فهذا يعني أنها قد درست في الفترة التي شهدت فيها المدرسة نهضة كبيرة خاصة في قسم البنات، حيث التحق بهذه المدرسة عام ١٩٠٥. ١٢٠ من الأولاد و٨٠ من البنات.^(١٧) أما المعلمون آنذاك فكانوا: إبراهيم عطا، إبراهيم مطر، سليمان أبو دية، باسيل باسيل، لبيبة سرور، نجمة نسطاس، وديع كنعان بالإضافة إلى الواعظ إسكندر حداد.^(١٨)



مجموعة من موظفي دار الأيتام السورية يتوسطهم جالسا السيد ثيودور شنلر والثالثة من اليسار وقوفا هي كريمة عبّود بينما الثالث من اليمين وقوفا هو الاستاذ الياس شحادة خوري



المعلمة رتيبة شقير مع مجموعة من تلميذاتها

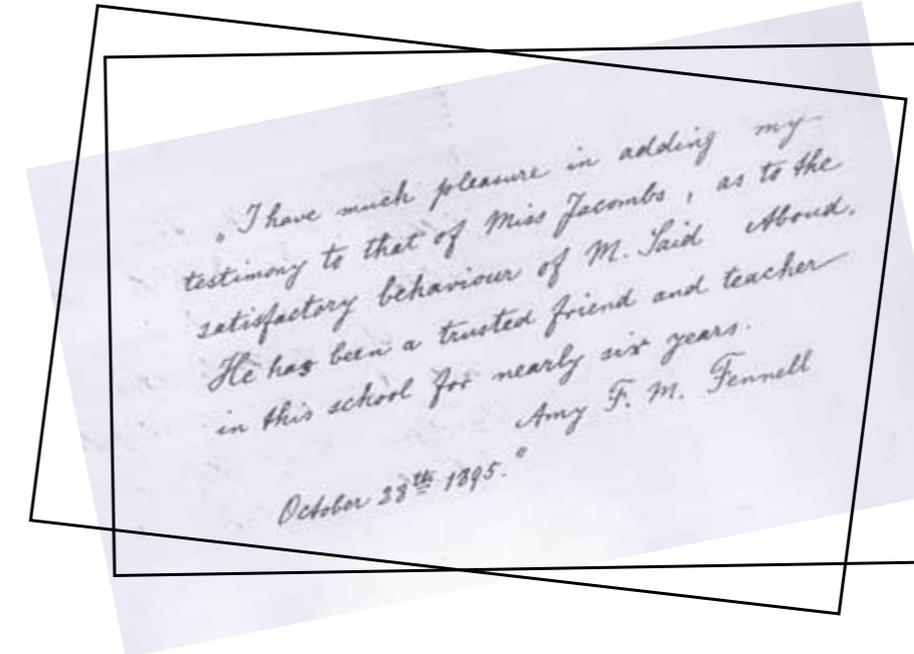
ويصعب التكهن بأي المدارس الثانوية كانت قد التحقت كريمة، فلربما تكون قد التحقت بمدرسة طاليثا قومي بالقدس حيث عمل والدها سابقاً أو بدار الأيتام السورية (مدرسة شنلر). حيث كان يعمل عمها سليمان. على أية حال يبدو أن كريمة عبّود عملت بعد تخرجها في مدرسة شنلر كمعلمة كما يظهر جلياً في صورة لها أخذت حوالي سنة ١٩١٩ لمجموعة من موظفي دار الأيتام السورية.

الدائرة الأوروبية

ما إن فتحت كريمة عبود عينيها على العالم حتى أبصرته يزخر بأفراد من ألوان وأعراق مختلفة. ففي نفس السنة التي ولدت كريمة فيها كانت أمها تعمل في مدرسة إنجليزية حيث كان عدد لا يستهان به من المعلمات البريطانيات. فلا عجب إذن أن تكون اثنتان من أشباين كريمة في العماد معلمتان أو زميلتان لوالدتها وهن Mrs. Corry Fennell و Miss Double^(١٩) وإن دل هذا على شيء إنما يدل على الروابط الوثيقة التي كانت تربط عائلة كريمة بالمبشرين الإنجليز. والشيء نفسه يقال عن أبيها ذلك الذي وإن ارتبط عمله في مطلع حياته المهنية بالمبشرين الإنجليز في كل من بيت لحم. وغزة. وشفا عمرو. إلا أنه ومنذ عام ١٨٩٩ كان موظفاً من قبل جمعية القدس التبشيرية Jerusalemverein^(٢٠) والتي كان مقر عملها في برلين حيث كانت تمول وتدير العمل الكنسي الإنجليزي في بيت لحم.

والحق يقال أن والد كريمة ووالدتها وبحكم دراستهما وعملهما أجادا أكثر من لغة أجنبية. فأتقنت أمها الإنجليزية وتكلمت الألمانية أما والدها القس سعيد عبود فأتقن العربية وعلمها. وتكلم الإنجليزية. بالإضافة إلى إتقانه التام للغة الألمانية كتابه وقراءة. كما تظهر السيرة الذاتية^(٢١) التي كتبها بخط يده عام ١٨٩٩ باللغة الألمانية وبالخط الألماني القديم ال Kurrentschrift.

إذن شبت كريمة عبود في جو متعدد اللغات والثقافات مما أثر وبلا شك على رؤيتها للعالم من حولها والذي سنراه لاحقاً يتبلور عبر عدستها. وهذا ما يقطع بلا شك أن كريمة بحكم علاقات عائلتها قد تعرفت و منذ صغرها على هذه اللغات الثلاث.

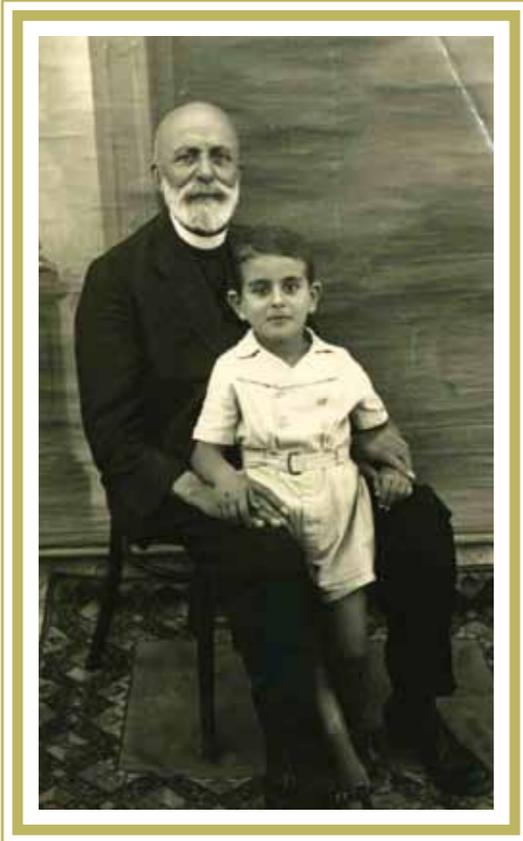


توصية من المعلمة فينيل

الدائرة العائلية

لا ندري لماذا تأخر زواج كريمة. ولكننا نعلم أنها اقترنت عندما بلغت ربيعها السادس والثلاثين بالتاجر يوسف فارس طابع من مرجعيون مسقط رأس أبيها. وكان حينها ابن ستة وثلاثين سنة حيث تم إكليلهما في ١٩٣٠/٨/٣١ في كنيسة الميلاد الإنجليزية اللوثرية في بيت لحم. وكان يوسف أرملاً بعد وفاة زوجته الأولى قبل زواجه الثاني بسنتين تاركة له طفلاً رضيعاً^(٢٢)... ويبدو أن زواج كريمة ويوسف لم يكن بالزواج الناجح. إذ بقي يوسف في مرجعيون مع طفله. بينما كانت كريمة تعمل وتنقل بين بيت لحم والقدس وحيفا. إذ كتبت ليديا عبود في ١٤ شباط ١٩٥٠ في رسالة وجهتها إلى القس إلياس شحادة والذي خلف والدها سعيد في منصبه تقول: «توفي والد سمير (أي يوسف طابع زوج كريمة) من مده: مات فقيراً جائعاً عارياً ولم يترك لأولاده شيئاً لأنه كان قد باع أكثر أراضيه وكل عفشه الذي بقي من كريمة وصرف الدراهم مبذراً إياها على أشياء تافهة فكانت نهايته محزنة»^(٢٣)

من هذا الزواج رزقت كريمة ويوسف بطفل وحيد أسموه سمير. ولم يعيش سمير بعد إنفصال والديه مع أبيه بل عاش مع أمه وجدته في بيت لحم. وبقي بعد وفاة والدته في عهدة جده سعيد. وبعد رجوع هذا إلى مرجعيون. إنتقل سمير إلى بيت خالته ليديا. إذ كتبت هذه في ٢ آب ١٩٥٠ تقول: «سمير مبسوط بصحته ولكن بدون شغل. فالأشغال في لبنان صعبة جداً والمعاشات قليلة: إن هم سمير كبير علي لأني أريده أن ينفع نفسه وهو يريد ذلك أيضاً ولكن الدهر يعاكس مساعينا ويتعبنا كما نحن»^(٢٤) وقد إنتهى الأمر بسمير في البرازيل حيث هاجر أوائل الخمسينيات من القرن العشرين. ويبدو أن الزواج من أعضاء العائلة الممتدة كان نمطاً فكرياً سائداً في عقلية عائلة عبود. حيث تزوجت أخت كريمة الصغرى ليديا في ١٩٤٠/٦/٩ من المعلم إبراهيم إسكندر عبود أشقر من سكان يافا.^(٢٥)



القس سعيد عبود مع حفيده سمير ابن كريمة

عاشت كريمة حقتين زمنيتين في حياتها : فقد ولدت في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني حيث كانت هذه الإمبراطورية تسيطر على بلاد الشام بأكملها وبالتالي لم يكن هناك ثمة حدود سياسية مغلقة بين ما عرف لاحقاً بلبنان وفلسطين. لذلك نرى القس سعيد عبّود دائم الترحال في بلاد الشام الواسعة «في فلسطين وشرق الأردن وسوريا ولبنان»^(٣١) «ومن ناحية أخرى وعندما خط سيرته الذاتية كتب أنه ولد في قرية الخيام في الجليل الأعلى»^(٣٢) وبالتالي عرف القس نفسه جغرافياً وليس سياسياً. فهو ينتمي إلى القرية الخيام والمنطقة الجغرافية الأكبر/الجليل الأعلى وذلك في زمن لم تكن الهويات الوطنية الضيقة قد تشكلت بعد. فمن منظور اليوم كان سعيد عبّود لبنانياً. ولكن من منظوره آنذاك لم يكن لبنانياً ولا حتى فلسطينياً بل «جليلياً». والشيء نفسه ينطبق على ابنته كريمة. فقد ولدت في بيت لحم في عام ١٨٩٣. عندما كانت بيت لحم جزءاً من متصرفية القدس العثمانية. ومن منظور اليوم تكون كريمة فلسطينية وإن كانت بجذور لبنانية.

إنتهت الحقبة الأولى التي عاصرتها كريمة مع انهيار الإمبراطورية العثمانية في عام ١٩١٧ وما لحقها من تغييرات سياسية في الشرق الأوسط أدت إلى تقسيمات جديدة للمنطقة فوضعت أجزاء من الشام تحت الإنتداب الفرنسي وأخرى تحت الإنتداب البريطاني. وشاءت الأقدار بأن يقسم الجليل الأعلى فيقع الجزء الشمالي منه تحت الإنتداب الفرنسي. وبالتالي تصير الخيام جزء من لبنان بينما تقع بيت لحم تحت الإنتداب البريطاني لتصبح جزءاً من فلسطين. وما لا شك فيه وكما يظهر من الوثائق المختلفة. فقد رأى القس سعيد عبّود وابنته كريمة بأنفسهم جزءاً لا يتجزأ من النضال الوطني الفلسطيني. ويظهر ذلك جلياً في الثلاثينيات من القرن العشرين وخاصة إبان الإضراب الكبير عام ١٩٣٦.

فقد كان القس سعيد عبّود من أوائل القسس الذين تنبهوا لخطر الحركة الصهيونية على فلسطين. بل وكان من أوائل اللاهوتيين الذين انبروا يدافعون عن حقوقهم الوطنية. وراح القس سعيد عبّود يعقد ندوات إجيلية كل يوم خميس وذلك في كنيسة الميلاد الإجيلية اللوثرية في بيت لحم. ليعالج مواضيع لاهوتية ذات أبعاد وطنية مثل: «الصهيونية والعهد القديم». «موقف يسوع من الوطن». «إساءة استخدام الكتاب المقدس».^(٣٣) كما كان القس سعيد عبّود من القسس الذين دفعوا باتجاه تعريب الكنيسة الإجيلية اللوثرية في فلسطين إذ كان أحد الأشخاص العشرة الذين وضعوا دستور الكنيسة الإجيلية العربية في بيت لحم والتي كانت تهدف إلى أن تضم أفراد الكنائس اللوثرية في كل من بيت لحم. بيت جالا. بيت ساحور والخليل.^(٣٤)



والشيء ذاته ينطبق على كريمة «كريمة عبّود». التي راحت تعرّف عن نفسها أنها «مصورة شمس وطنية» «والمصورة الوطنية الوحيدة في فلسطين».^(٣٥) لقد عاشت كريمة كل حياتها في فلسطين فهنا ولدت وهنا ماتت ودفنت. وعملت كمصورة في بيت لحم والقدس والناصره وحيفا. ومع أنها تزوجت رجلها من مرجعيون إلا أنها لم تسكن معه هناك. وبالتالي يحق القول إنها أول مصورة شمس فلسطينية.

توفيت كريمة في عام ١٩٤٠ وبعدها بثلاث سنوات في ١٩٤٣/١١/٢٢ أعلنت لبنان انتهاء الإنتداب الفرنسي لتصبح دولة مستقلة. ولم تشهد كريمة هذا التحول. الذي ربما كان قد أثر على فهمها لهويتها الوطنية. وهذا ما حدث مع بعض أفراد عائلتها. فأبوها القس سعيد عبّود ما أن تقاعد من عمله كقسيس في كنيسة الميلاد عام ١٩٤٧ حتى قرر هو وابنته ليديا - وربما بسبب حالة عدم الاستقرار التي سادت فلسطين في الفترة التي سبقت النكبة - أن يرجع إلى مسقط رأسه وذلك في أوائل شهر كانون الثاني عام ١٩٤٨. ففي رسالة من ليديا عبّود إلى القس إلياس شحادة حررت في ١٤ آذار ١٩٤٨ كتبت تقول: «حقوق الله أمانينا وأعادنا إلى بلادنا مرة أخرى.... سفرتنا كانت متعبة وطويلة جداً: فقد قطعنا شرق الأردن وسوريا ووصلنا إلى الخيام على شوط واحد. وكان وصولنا نحو منتصف الليل وتحت المطر الغزير».^(٣٦)

المشكلة التي واجهت ليديا أن أخاها منصور بقي في بيت لحم في مشفى الأمراض العصبية. وصار من الصعوبة بمكان أن ينقل من فلسطين - والتي أصبحت جزءاً من الأردن - إلى لبنان. وفي ٩ آب ١٩٤٩ من نفس العام كتبت ليديا رسالة إلى القس إلياس شحادة تطلب منه أن يتدخل كي يبقى المستشفى أخاها منصور هناك حتى تستطيع أن تكمل أوراقه ليلتحق بها. قالت فيها :

«ابتدأت أعمل له معاملة أنه لبناني الأصل: وهذه تأخذ مدة لا أعرف طولها لأنه كفلسطيني ممنوع بتاتا أن يدخل لبنان ويوجد من يساعدي في المداخلات وغيرها: ثمّ إنني سأعمل معاملة لنفسي حتى أستطيع السفر إلى فلسطين: وإنني لست متغاضية عن هذه المسألة إنما التأخير ليس مني: فحالما تتسرع الأوراق سأاتي بنفسي وأخذه إلى لبنان كلبناني مهاجر راجع إلى وطنه».^(٣٧)

وبعد ذلك بستة أشهر كتبت ليديا في رسالة أرخت في ١٩٥٠/٢/١١ تقول: «بعدما أكملت كتابة هذا التحرير. جاء مختار الخيام وقدم لي ورقة من الوزارة من بيروت يطلبون فيها إثباتاً أن منصور نفسه طالب أن ينضم إلى الجنسية اللبنانية. ولماذا. وفي حال الإيجاب ينظر في الأمر وفي حال السلب يتعذر إجابة طلبنا: فترى أيها الصديق كم هي المسألة صعبة... وقد أخبرني المختار على لسان



ليديا عبّود

مأمور النفوس أن المسألة على الأرجح فاشلة: ومع ذلك سأذهب إلى بيروت وأكرر السعي والمداخلات والمصاريف الباهظة حتى إذا فشلت للمرة الأخيرة أكون قد حاولت: إنني أكاد أن أهبط تحت الحمل والهم. أنا لبنانية بواسطة الزواج وأخي فلسطيني»^(٣٣)

الملفت للنظر في هذه الرسائل هو الكيفية التي راحت ليديا تعبر بها عن هويتها الوطنية. فنراها تارة فلسطينية وأخرى لبنانية. والشيء نفسه ينطبق على رؤيتها لهوية أخيها فساعة هو فلسطيني وساعة أخرى لبناني ويبدو أنها عاشت صراعاً بين انتماءين كانا تارة جزأين من هوية أكبر وأغرق وتارة أخرى متناقضين منفصلين.

الدائرية الفنية

إن المتأمل ملياً في السياق الذي نشأت فيه «كرمة عبّود» سيجد أن أهلها ساعدوها على تطوير حس فني مرهف. كما أن أبويها كانا من المثقفين في عصرهما مقارنة بأترابهما. وقد شبت «كرمة» في بيت ذي حس لغوي مرهف. فأبوها أجاد فن الخطابة والوعظ. كما كان له اهتمامات ثقافية بدليل كتابته وإصداره كتاباً عن الأمثال العربية الدارجة. وكان له من الاهتمامات السياسية والوطنية ما جعل مكان عمله مركزاً لندوات ثقافية في زمن لم تكن تعقد مثل هذه الندوات من قبل كما وأجاد القس سعيد الموسيقى إذ كان قائداً لجوقة

أسسها في مدينة بيت لحم وأصبحت حينها ذائعة الصيت.^(٣٤) وما يجدر ذكره أن «ليديا عبّود» أخت «كرمة» قد أجادت العزف على الجيتار. مما انعكس إيجاباً في نفس كريمة وكانت البيئة مهيئة تماماً كي تمتلك كريمة ذوقاً رفيعاً. وحساً فنياً ونظرة إبداعية. ولكن ماذا عن فن التصوير؟ لا شك أن البيئة الأنفة الذكر ساعدت كريمة على الاتصال بعدد لا بأس به من المصورين. فالإرساليات الأجنبية عامة والإجيلية خاصة كانت من أوائل المؤسسات التي راحت تستقطب



ليديا عبّود تعزف على الجيتار

المصورين لتصوير الأرض المقدسة والأماكن التي ارتبطت بالكتاب المقدس وسيرة الخلاص من جهة. ومن جهة أخرى أخذت تستخدم مصوراتها لتنقل بالصورة الحية شيئاً ملموساً عن عملهم التبشيري بقصد جمع التبرعات دعماً للعمل. وراحت مدينة بيت لحم بكونها مهد المسيح. والتي ارتبطت بالذاكرة المسيحية تستقطب أيضاً جموع المصورين. فما من مصور زار فلسطين إلا وزار أيضاً بيت لحم. هذا بالإضافة إلى قرب بيت لحم من مدينة القدس والتي شكلت مركزاً مهماً للمصورين الأجانب والأرمن والعرب في فلسطين.^(٣٥)

لقد قيل الكثير وكتب الكثير عن التصوير وفنونه في مراكز التصوير في كل من القدس ويافا ولكن ما لم يقال ولم يعرفه أحد أن كنيسة الميلاذ الإجيلية اللوثرية وهي الكنيسة الأصغر نسبياً كانت أيضاً مركزاً مهماً في تطوير التصوير في جنوب فلسطين. فهنا في بيت لحم وفي كنيسة الميلاذ الإجيلية اللوثرية والتي كان القس سعيد عبّود راعيها. كان هناك مجموعة من المصورين بعضهم عمل في القدس والبعض الآخر في بيت لحم ويافا. وللأسف لم يذكر أي منهم في الدراسات الكثيرة السابقة التي كتبت عن تاريخ التصوير في فلسطين. إذ لم تحظ مدينة بيت لحم بدراسه حقيقية عن المصورين الذين خرجوا منها أو عملوا فيها. وانصب كل التركيز على مدينة القدس ومصوريها. لا نعرف على يد مَنْ مِنَ المصورين تتلمذت كريمة عبّود. غير أنها كانت تعرّف عن نفسها أنها «تعلمت هذا الفن الجميل عند أشهر المصورين»^(٣٦) ولكن من المؤكد أنّ ما أنّ فتحت كريمة عبّود عينها على هذا العالم حتى رأت نفسها محاطة بمجموعة من المصورين الذين كان والدها يتعامل معهم. وكانت على اطلاع دائم بفنهم. ولا بدّ أنها زارت هؤلاء المصورين كثيراً في بيوتهم برفقة أبيها. ورأتهم في المناسبات يلتقطون الصور وراء هذه الآلة العجيبة التي أثارت إعجابها. واستوطنت قلبها. وزادت من ولعها وشغفها بها.

من يمعن النظر في محيط كريمة عبّود سيكتشف خمسة من المصورين الذين انتموا لنفس الكنيسة وكانت كريمة وأبوها على اتصال وثيق بهم. وهنا يجدر بنا أن نستعرضهم فرداً فرداً. خاصة وأن البعض منهم لم يذكر ولا يعرف عنه الكثير وربما هذه هي المرة الأولى التي تسلط الأضواء عليهم:

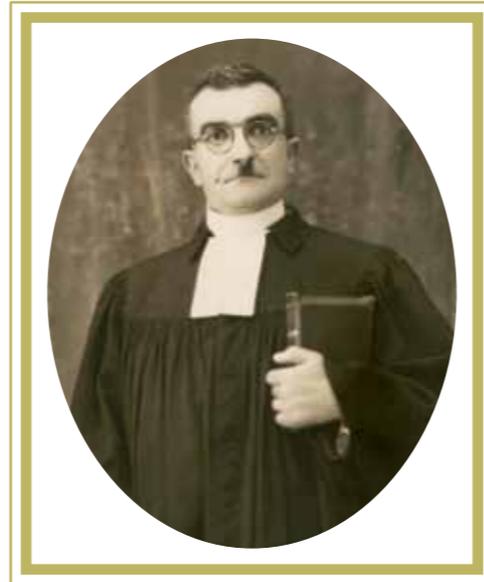
المصور الأول والأقدم في محيط كريمة عبّود كان يوسف (جريس) ضاهر الياس البوارشي. ولد يوسف في بيت لحم في ١٨٧٦/١٠/٢ وكان أبوه ضاهر صانع أحذية وكان قد تعلم الصنعة في دار الأيتام السورية ولكنه كان أيضاً مدير مكتبة للكتاب المقدس في بيت لحم في حي المدبسة. أما أمه فكانت ساره قسطنطين الريادي. وفي عام ١٨٨٤ وبعد أن استلم القس لودفيك شنلر ابن مؤسس دار الأيتام السورية. رعاية كنيسة الميلاذ الإجيلية اللوثرية في بيت لحم. تم تأسيس عمل إجيلي في الخليل. وقرر لودفيك شنلر أن يرسل ضاهر بوارشي إلى هناك ليؤسس نواة مدرسة إجيلية جديدة. هذا بالإضافة إلى مستوصف طبي تم استقطاب طبيب لبناني لإدارته.^(٣٧) في هذه المدرسة الإجيلية في الخليل تعلم يوسف (جريس). قبل أن يكمل دراسته في بيت لحم ومن ثم في القدس. وتظهر الوثائق الكنسية أن يوسف (جريس) البوارشي عندما تزوج في ١٩٠٢/٢/٢٧ كان يعمل آنذاك مصوراً في القدس. وقد تم زواجه على يدي القس سعيد عبّود أبو كريمة.^(٣٨)



كرمة عبّود و آلة التصوير (تصوير C. Sawides)

إذن لم تكن كريمة عبّود ظاهرة فريدة في بيت لحم لكونها مصورة. بل كانت كنيسة الميلاد الإنجليزية اللوثرية تزخر بالمصورين من عائلة بوارثني وباسيل لتنضم كريمة عبّود إليهم. ولكن الحق يقال أن كريمة كانت ظاهرة فريدة كونها أول امرأة في فلسطين حترف التصوير.

ث- ميشيل توفيق باسيل: ولد في بيت لحم في ١٩٢١/٣/١٥ وتعهد على يدي القس سعيد عبّود في ١٩٢١/٦/١٩.^(٤٠) وقد أخذ الصنعة عن أبيه وجده منذ صغره إذ تظهر السجلات الكنسية مهنته مصورا عند زواجه في ١٩٣٧/٦/١^(٤١) وبقي كذلك حتى الستينيات من القرن العشرين حيث ترك هذه المهنة ليعمل في صناعة الشمع العسلي وبقي كذلك حتى مماته في عام ٢٠٠٣. لا بد وأن كريمة عبّود قد تأثرت ببعض هؤلاء المصورين وقد تكون قد تعلمت مهنة التصوير عند أحدهم. ويبدو أنها كانت على صلة مع المصور C. Sawides في حيفا. بدليل أنها اختارت أن تلتقط صورتها المهنية مع الكاميرا الخاصة بها في الاستوديو الخاص به في حيفا.^(٤١) كما ويقال أنها كانت على صلة ما مع صندوق اكتشاف فلسطين. وقد تكون قد عملت مصورة لديهم.



القس الياس شحادة (تصوير ميشيل باسيل)



المعلمة رتيبة شقير في حفل التخرج في مدرستها في قصر جاسر - بيت لحم (تصوير توفيق باسيل)

أ- أول المصورين في عائلة باسيل كان بلا شك توفيق خليل باسيل. وهو الابن الأكبر لمختار الطائفة الإنجليزية. ولد توفيق في بيت لحم بتاريخ ١٨٨٨/١/١٥ وكانت والدته كاتبه ميخائيل وقد تعهد على أيدي القس لودفيك شنلر في كنيسة الميلاد الإنجليزية اللوثرية في ١٨٨٨/١٢/٢٢.^(٤٠) وتفيد السجلات الكنسية أن توفيق كان مصورا في بيت لحم عند زواجه من الأنسة أولغا حنا ياني في ١٩١٠/١/١١ وقد قام بمراسيم الزواج القس سعيد عبّود.^(٤١) كما وتظهر السجلات الكنسية أنه بقي مصورا حتى طوال حياته. لا بل ورث مهنته لابنه خليل. وتوفي توفيق باسيل في ١٩٦١/٢/٧.^(٤٢)

ب- خليل توفيق باسيل: ولد في بيت لحم في ١٩١٠/١/١٢ وتعهد على يدي القس سعيد عبّود^(٤٣) بل وثبت في نفس الفوج مع ليديا عبّود أخت المصورة كريمة.^(٤٤) وتعلم مهنة التصوير من والده توفيق. وتؤكد السجلات الكنسية أن مهنته عند زواجه على يد القس سعيد عبّود من ماريا المصو في ١٩٣٧/٦/٢٤ كانت في التصوير^(٤٥) ولكنه يبدو أنه وفي مطلع الأربعينات انتقل للعمل في التصوير إلى مدينة يافا. حيث بقي هناك حتى النكبة. رجع بعدها إلى بيت لحم وبقي في عمله مصورا حتى وفاته.

ت- يوسف (خليل) إلياس باسيل وهو حفيد خليل باسيل ولكن لابنه إلياس. ولد يوسف في بيت لحم في ١٨٩٦/٣/١ وكانت مهنة والده الياس البناء. حيث عمل مع أشهر المهندسين الألمان في بناء الكنائس اللوثرية ومؤسساتها. أما والدته فكانت عفيفة إبراهيم كتاب.^(٤٦) تزوج يوسف (خليل) من جميلة نسطاس من بيت لحم في ١٩٢٧/٥/١ وقد أجرى مراسم الزواج القس سعيد عبّود. وبحسب سجلات الكنيسة كان يوسف عند زواجه مصورا^(٤٧) وما يثبت عمق أواصر الصلة بين عائلة باسيل وعبّود أن كاترين عبّود ابنة القس سعيد عبّود الكبرى وقفت إشبينة لأبنة يوسف باسيل والمدعوة كارولين يوم معموديتها في عام ١٩٤٤.^(٤٨) أما يوسف فسكن في شحافات إلى أن توفي في ١٩٧٠/٥/١.^(٤٩)

كريمة عبّود ومجموعاتها التصويرية

عملت كريمة عبّود كمصورة ما يقارب الربع قرن (١٩١٥-١٩٤٠)، وعملت في أكثر من مدينة منها: بيت لحم، القدس، حيفا والناصرة. وتركت الكثير من الصور، بعضها معروف والبعض الآخر ما زال مخفياً. ويبدو أن هناك ستة مجموعات مختلفة لصور كريمة عبّود يمكن إيجازها فيما يلي:



كريمة عبّود تمسك بألبوم الصور مع متيل عبّود



من اليسار الى اليمين: متيل وشفيقة وسلّمى عبّود بالإضافة إلى صادق وسلّيم عبّود

١. عملت كريمة عبّود خاصة كمصورة عائلية، ورصدت عدستها الكثير من النساء والأطفال والعائلات الفلسطينية، ولا شك أن مجموعة كبيرة من صورها كانت ومازالت في عهدة هذه العائلات، مما يصعب عملية جمعها. هذه هي المجموعة الأولى المتناثرة والتي نأمل ألا تندثر. وأملّي أن يساعد هذا الكتاب الكثير من العائلات على مراجعة صورها القديمة للتعرف على هوية المصورة/الذي التقط هذه الصور.



وتشير الدلائل أن كريمة عبّود كانت تعمل مصوره في الناصرة (أنظر الختم) وفي حيفا (دار ضومط) والقدس وبيت لحم حيث يبدو أنها أدارت استوديو في دار الجعار حيث كان يسكن والدها كما كانت تصور في مدن أخرى بدليل تصويرها لحفل التثبيت في الخليل سنة ١٩٣٦.



القس سعيد عبود يتوسط المثبتات أديل جبرائيل، أنجيل عربي وجورجيت حايك في الخليل عام ١٩٣٦

٢. المجموعة الثانية من صور كريمة كانت في عهدة عائلتها. إذ تشير بعض الرسائل التي إستطعنا الحصول عليها إلى أن أباهما سعيد وأختها ليديا لم يأخذا هذه الصور معهما بل تركاها في بيت لحم. وبعد ذلك طلبا من القس الياس شحادة أن يرسلها إلى لبنان.

ففي رسالة لليديا عبّود مؤرخة في ١٩٤٩/٤/٣ كتبت ليديا إلى القس الياس شحادة رسالة تقول فيها:

«من جهة الأغراض التي تخصنا فإنني أكلفك أن تعمل بها ما تشاء: فقط أرجوك أن تحافظ لي على الصور الفوتوغرافية... الصور شغل المرحومة كريمة... فإذا كانت موجودة أرجو أن تبقّيها إلى ابنها سمير... فإذا كانت لا تزال موجودة أرجو أن ترسلها لي بالبريد... مع الصور الفوتوغرافية وإني مستعدة بدفع تكاليفها»^(٥٦) للأسف لا نعرف مصير هذه الصور؟ هل إستطاع القس الياس شحادة أن يجدها؟ وهل أرسلها إليها إلى لبنان؟ وهل استلمتها؟ وهل بقيت في عهدها في الخيام. أم أن ابنها سمير أخذها معه إلى البرازيل؟ أسئلة كثيرة لا نجد للأسف جواباً شافياً لها. ولكننا نأمل أن يكتشف أحدهم يوماً هذه الصور العائلية لكريمة عبّود.



كنيسة الصعود ومستشفى الأوغستا فكتوريا في القدس

٣. أما المجموعة الثالثة فنعرف أنها في عهدة رجل إسرائيلي يدعى بوكي بوعاز وهو تاجر أنتيكا. وبحسب رواية أحمد مروان فإن هذه المجموعة الثالثة مكونة من ثلاثة مجلدات وتحوي زهاء ٤٠٠ صورة هي صور لمواقع أثرية وتاريخية في فلسطين إبان الانتداب البريطاني. وبحسب نفس المصدر فما زالت هذه المجموعة في يدي هذا التاجر الذي يأبى أن يكتشف عنها أو يبيعه.

٤. أما المجموعة الرابعة فهي تلك التي ننشر جزءاً منها في هذا الكتاب والتي كانت حتى سنة ٢٠٠٦ في يدي نفس التاجر «بوكي بوعز» وتتكون بحسب رواية «أحمد مروان» من مجلدين والتي بادلها مع السيد أحمد مروان مقابل توراة قديمة.^(٥٧) ويبدو أن بوكي بوعز رضي أن يستبدل هذه الصور بالتوراة

لقناعته أنها في مجملها صور شخصية كما لم يكن يعرف بالدقة لمن تكون هذه الصور. وبالتالي فقيمتها ليست كقيمة الصور التي ترتبط بالأماكن الأثرية والتاريخية.

٥. المجموعة الخامسة هي مجموعة متيل وشفيقة عبّود وتتكون من حوالي ٣٠٠ صورة كانت بعهدة السيد دعبس عبّود في الناصرة وهي اليوم في أرشيف الناصرة والتي ننشر جزءاً مهماً منها في هذا الكتاب.

٦. أما المجموعة السادسة والأخيرة فكانت عبارة عن صور أخذت بعدسة كريمة عبّود واستطعنا رصدها والحصول عليها إما من أرشيفات كنسية أو من مجموعات شخصية كمجموعة القس الياس شحادة والموجودة حالياً عند حفيدته د. نهى خوري. ويسرنا في هذا الكتاب أن نوثق وننشر وللمرة الأولى هذه المجموعة الصورية المميزة لنضعها بين يدي القارئ ليتعرف من خلالها على أول مصورة نسوية فلسطينية.



كريمة عبّود وابنها سمير



كريمة ومتيل وشفيقة عبّود

مميزات المجموعة التصويرية المنشورة

تتميز هذه المجموعة التي ننشرها اليوم بما يلي:

١. المهتم في هذه المجموعة أنها توثق صوراً لعائلة عبّود عبر سنين طويلة مما يجعلها توثق تاريخ عائلة فلسطينية زمن الانتداب لا نجد له مثيلاً في عائلات فلسطينية أخرى.

٢. ومن الأهمية بمكان أن كريمة عبّود لكونها امرأة، فقد التقطت عدستها الكم الهائل من الصور خاصة للنساء والأطفال والتي بواسطتها نستطيع التعرف على جوانب كثيرة من الحياة الاجتماعية في فلسطين في فترة الانتداب. ومن يعنى

النظر في هذه المجموعة من الصور لا بد وأن يصيبه الدهول من رؤية التنوع الحضاري والثقافي غير المحدود والمتمثل في أنواع الألبسة النسائية المختلفة، أو تصفيف الشعر، أو طريقة لباس الأطفال والشبان. والمهم في هذه المجموعة أن الكم الأكبر من هذه الصور لم يلتقط لبيعته للسّاح وبالتالي لم يأتى ليؤكد على النمط الاستشراقي للأرض المقدسة، بل يشكل الكم الأكبر منها صوراً عائلية ترصد الحياة الاجتماعية لعائلات فلسطينية متوسطة الحال في فترة الانتداب. ومن يتأمل في هذه الصور لا بد وأن يستشعر مدى التطور الذي ساد هذه الحقبة من تاريخ شعبنا قبل أن ترجعنا النكبة عشرات السنين إلى الوراء.



نساء من بيت لحم



نساء

٣. تتميز مجموعة صور كريمة عبّود بلمسات فنية خاصة. إذ يظهر التنوع الكبير في طريقة الوقوف أو الجلوس والإضاءة للقطات البورتريه. كما تتميز صورها بنوع من الدفء الخاص والحنان الذي يظهر بين الأفراد وتكاد تحس به بنوع خاص عندما يظهر إثنان أو إثنان في الصورة. وكأن صورها تقطر حبا.

٤. تتميز هذه المجموعة ببعض الصور الملونة التي اعتبرت آخر صرعة في عصرها. حيث لم يكن التصوير الملون قد انتشر بعد. إذ أخذ بعض المصورين يرسمون على الصور القديمة بالألوان الزيتية. ونرى هنا عدة محاولات لكريمة لتلوين بعض الصور. ويبدو أنها كانت تجرى الاختبارات على اللون علها تجد اللون الأفضل الذي يحاكي الواقع أو يضيف إليه لمسات جديدة.

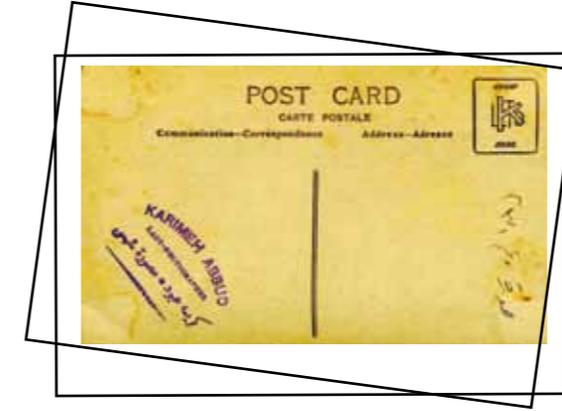
وبالتالي تشكل هذه المجموعة من الصور كنزاً لا يستهان به. ومراة لحقبة تاريخية مهمة في تاريخ فلسطين الحديث. كما وتشكل نافذة على الحياة العائلية لطبقة اجتماعية متوسطة إبان العهد البريطاني. إن حقيقة وجود امرأة مصورة فلسطينية منذ بداية عهد الانتداب البريطاني، وقبل وجود مصورات يهوديات إنما يشكل بحد ذاته قفزة نوعية تحتل فيه المرأة العربية مساحة جديدة لتحقيق ذاتها وللوصول إلى مساواة تامة مع الرجل.



ليديا عبّود

تركة كريمة عبود الصورية

لم يكن من السهل التحقق من صحة الصور التي نسبت إلى كريمة، فلقد اختلطت بمئات الصور التي نسبت إليها بحق أو بغير حق. ولكن بعد التقصي والبحث والتمحيص والتدقيق تبين لي أن الكثير من الصور التي نسبت لكريمة لا يمكن أن تكون لها بأي حال من الأحوال كونها أخذت إما بعد وفاتها. أو أنها كانت ضمن مجموعة صورية لم تكن تمت لكريمة عبود بصلة من قريب أو بعيد. لهذا كان لزاماً علي أن أدقق وأن أفرز الصور وأضعها بحسب أصالتها. لذلك فقد قمت بالتدقيق في مجموعة الصور التي وردتني وقسمتها إلى الأقسام التالية:



١. صور بعدسة كريمة عبود بدليل وجود ختم المصورة على خلف الصورة وقد بلغ عدد هذه الصور ١٦.
٢. صور لا تحمل ختم كريمة وهي في الغالب لأفراد من أسرة كريمة ولكن يمكن القول أنها - ومن شبه المؤكد - من أعمال كريمة ويبلغ عدد هذه الصور ٦٥.
٣. صور من المرجح أن تكون قد التقطت بعدسة كريمة وذلك بناء على مجموعة من المعايير ويبلغ عددها ١٧.
٤. صور من المحتمل أن تكون لكريمة ولكن لا يوجد دلائل أو قرائن تدل على ذلك.
٥. صور لا يمكن أن تكون لكريمة وذلك بسبب وجود أختام أخرى عليها.
٦. صور تظهر فيها كريمة عبود ولكنها أخذت لمصورين آخرين قد نعرفهم أولاً نعرف عنهم شيئاً.

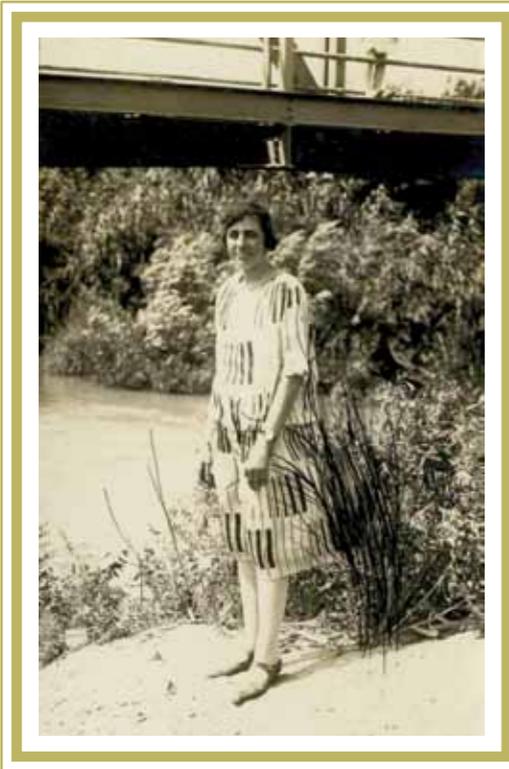
كريمة عبود المصورة الرائدة

وأخيراً وليس آخراً فهناك أمور عديدة تميزت بها كريمة عبود عن غيرها من المصورين في فلسطين.

١. كانت كريمة وبحق أول امرأة تقتحم سلك التصوير. في عالم كان التصوير فيه ما زال حكراً على الرجال. ولهذا يحق تسميتها برائدة التصوير النسوي في فلسطين. ومن الجدير ذكره أن كريمة لم تكن المصورة الأولى في الوسط العربي فحسب بل وفي الوسط اليهودي أيضاً. إذ هي سبقت المصورات اليهوديات.

٢. كانت كريمة مميزة بكونها مصورة بيتية. إذ اكتشفت كريمة أن هناك سوقاً للتصوير في البيوت يتلاءم مع الطبيعة المحافظة للعائلة الفلسطينية وصعوبة وصول النساء والأطفال إلى استوديوهات التصوير. فخطر ببالها فكرة التوجه إلى البيوت لالتقاط صور النساء والأطفال والعائلات باعتبارها خطوة رائدة لم يسبق إليها أحد من قبل. وبذلك فتحت الطريق أمام توثيق صور شريحة مهمة في المجتمع الفلسطيني.

٣. ما يلفت النظر حقاً في حياة كريمة عبود هي حرية الحركة التي كانت تتمتع بها. وقد لعبت فترة الاستقرار والأمن النسبيين في النصف الأول من فترة الانتداب البريطاني - بالإضافة إلى مشاريع البنية التحتية التي شملتها. من شوارع ونظم مواصلات والبدء في استخدام السيارات - دوراً في حرية الحركة التي كانت تتمتع بها. إلى جانب عدم وجود حدود مغلقة بين بلدان الشرق الأوسط. وهذا ما تظهره بوضوح صورها التي التقطت على نهر الأردن وفي أماكن أخرى من الشرق الأوسط. ويقال أن كريمة عبود كانت أول امرأة تقود سيارة



كريمة عبود على ضفة نهر الاردن

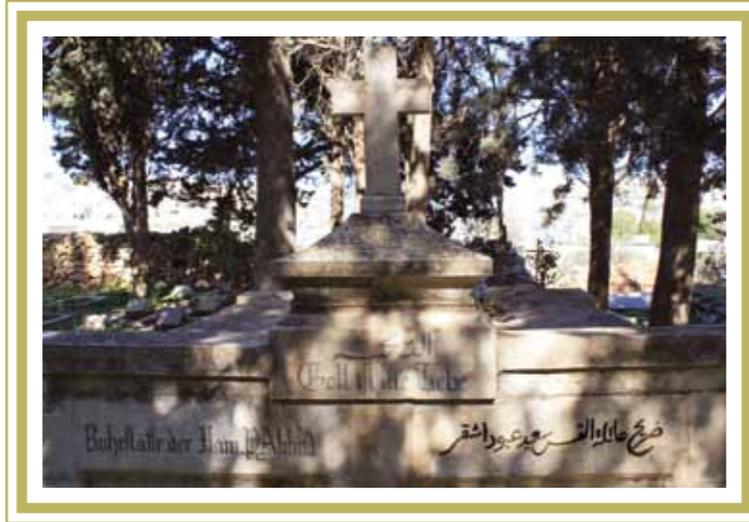


كريمة عبود تجلس على سيارتها بينما متيل وشفيفة عبود واقفات

نهاية مصورة

لم يكن الوضع الصحي في عائلة عبّود بالهين. فلقد توفي أخوها نجيب وكان ما زال رضيعاً. كما توفي الأخ الثاني (كريم) وهو في ريعان شبابه عام ١٩٢١.^(٥٩) أما أخوها الثالث منصور فلقد عانى طوال حياته من كآبة وحالة نفسية صعبة مما أوجب أن يقضي جل عمره في مصحة للأمراض النفسية. كما وأصيبت أختها ليديا بداء السل.^(٦٠) وربما كان هذا المرض قد أصاب أعضاء آخرين من عائلة كريمة. هذا ولم تكن حالة كريمة عبّود الصحية بالمستقرة. ففي سنتي عمرها الأخيرة راحت كريمة تتعرض لنوبات من الحمى. فكتب أبوها القس سعيد في ٢/شباط/١٩٤٠ إلى متيل عبّود رسالة جاء فيها: «بقيت الحمى ملازمة كريمة جملة أيام وقد صار هذا اعتيادي عندنا: فإذا استراحت بضعة أيام فلكي تعود الحمى فتهاجمها وتخف جزءاً آخر ولو قليلاً من عافيتها».^(٦١)

وبعد هذه الرسالة بثلاثة شهور توفيت كريمة عبّود في ١٩٤٠/٤/٢٧ في مدينة بيت لحم عن عمر ناهز السبعة والأربعين عاماً نتيجة فشل كلوي (Uremia hydrophone double) ودفنت في اليوم التالي في مقبرة الكنيسة الإنجيلية اللوثرية^(٦٢) طاوية معها قصة رائدة عربية ومصورة عريقة ومخلقة وراعها إرثاً حضارياً مميّزاً.



ضريح عائلة القس سعيد عبّود الاشقر في بيت لحم

في بيت لحم وانها كانت تنتقل بين المدن مع عدستها بواسطة سيارتها. ويقف المرء مندهشاً أمام الحرية التي استطاعت امرأة فلسطينية في النصف الأول من القرن العشرين أن تحقّقها لنفسها. فقد عاشت منفصلة جغرافياً عن زوجها الذي بقي في مرجعيون بينما عاشت هي وابنها سمير جل وقتها في بيت لحم.

٤. إن المتتبع لحياة كريمة عبّود لا بد وأن يصل إلى نتيجة مفادها أن كريمة عبّود إنما كانت ناشطة نسوية فلسطينية في حركة كانت قد أخذت بالتبلور في فلسطين بدليل قيام جريدة الكرمل في شهر حزيران عام ١٩٢٤ بنشر إعلان يدعو إلى دعم هذه المصورة الوطنية.^(٥٥) وكانت جريدة الكرمل ممثلة بصادهج نصار زوجة الصحفي وصاحب الجريدة نجيب نصار قد راحت في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين بتخصيص مقالات ومساهمات ومن ثمّ صفحات خاصة في جريدتها لدعم الحركة الوطنية النسوية.^(٥٦) ومن المثير حقاً أن نجد كريمة عبّود تحظى بأحد أوائل هذه الإعلانات.

٥. ولكن ربما كان أهم ما يميز كريمة أنها كانت امرأة أعمال أنشأت في أختامها إلى حفظ حقوق الطبع وأدركت قبل الرجال أهمية توسيع رقعة أعمالها لتغطي أكثر من مدينة فلسطينية. فأدارت لها في مطلع العشرينيات من القرن التاسع عشر أستوديوهات في كل من الناصرة وحيفا. وبيت لحم وكانت دائمة التنقل بينها. ويبدو أنها استفادت من شبكة علاقاتها الاجتماعية لإقامة ستوديوهات خاصة بها. ففي الناصرة لا بد وأنها استخدمت دار بنات عمومتها متيل وشفيقة كاستوديو للتصوير خاص بها. كما وأسست أستوديو آخر في حيفا في دار ضومط.^(٥٧) وعلى الأغلب يدور الحديث هنا عن دار كل من جورج وعزيز ضومط اللذان كانا قد درسا في دار الأيتام السورية. وكانت دارهما مكان المدرسة الإنجيلية الحالية في حيفا.

وأخيراً وكما يبدو من الصور كان لكريمة عبّود أستوديو أو مقر ثالث في بيت والدها القس سعيد عبّود في بيت لحم. والمعروفة بدار الجعار. وبذلك تكون كريمة عبّود قد سبقته المصورين الرجال في فلسطين لأنها لم تكن مصورة محلية فحسب. بل مصورة وطنية امتدت رقعة أعمالها لتغطي سائر أرجاء الوطن.

٦. لم تكن كريمة عبود مصورة مميزة على مستوى فلسطين فحسب. بل لقد ورد إسمها ضمن لائحة مشاهير المصورين في العالم الذين التقطوا بعدساتهم «لحظات مميزة لا تقدر بثمن». ومن يطالع على هذه اللائحة سيكتشف أن الجبل الأعظم من مشاهير المصورين المذكورين هناك هم من الغرب.^(٥٨) وأن كريمة عبود هي أحد المصورين الشرق أوسطيين القلائل الذين ذكرت أسمائهم هناك. وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على عظمة هذه المرأة العربية الفلسطينية المصورة وعالميتها التي لم تعرف حدوداً جغرافية أو زمنية.